

تاريخ اللغة العربية (أهميتها .. الواقع .. المستقبل)

The History of Arabic Language: Significance, Status Qou and Prespects

د. عيسى صالح الحمادي

مدير المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج

alhammadi@abegs.org

الملخص:

يروم هذا العمل إبراز دور اللغة العربية في التاريخ الإنساني بصفتها وعاءً علمياً لثقافات العالم القديم والوسيط. فهذه اللغة موجودة منذ 18 قرناً على الأقل، بل إنها لم تعرف طفولةً ولا شيخوخةً كما قال المستشرق الفرنسي أرنيس رينان. لذلك سيتناول البحث أسباب أهميتها ودرها في تاريخ الحضارة البشرية؛ أولاً : باعتبارها خزّاناً ثقافياً لحضارة امتدت آلاف السنين.

وثانياً: لأنها اللغة الوحيدة التي تُعتبر لغةً حضارةٍ ودينٍ لمليار ونصف مليار من البشر في الوقت الحالي، ولا توجد الآن لغة حيةٍ غيرها تُزوّج بين الوظيفة المدنية والدينية.

فلقد ظلّت العربية لغةً العلم والمعرفة والتواصل البشري خلال فترة طويلة من القرون الوسطى. وحتى في المجال الديني لم تُستخدم العربية في فهم الحضارة الإسلامية فحسب، ولكنها استُخدمت أيضاً وسيلةً لفهم ما استغلّق من العهد القديم واللغة العبرية. والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس وهو أيضاً جزءٌ من الكتاب المقدس عند المسيحيين؛ لذلك امتد تأثير العربية إلى العقيدتين اليهودية والنصرانية أيضاً.

وبعد النهضة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، أصبحت اللغة العربية بغير منازع لغةً العلم والثقافة والدبلوماسية، إذ انتشرت في آسيا وإفريقيا وأوروبا، بل تعتبر أول لغة عالمية وصلت إلى العالم الجديد (أمريكا).

وسيتناول البحث أيضاً الدور العالمي الذي نهضت به اللغة العربية كلغة عالمية في إبداع ونقل العلم والفلسفة وجميع الفنون إلى العالم طيلة العصور المظلمة الأوروبية،

وأخيراً سيناقش واقع هذه اللغة والسيناريوهات المستقبلية المتعلقة بمصيرها، وهي ثلاثة سيناريوهات؛ يتعلق

- أولها بموت اللغة العربية،
- الثاني ببقائها على حالها،
- أما الثالث فيتعلق بتطورها لتصبح لغة عالمية إذا تحققت شروط معينة.

واستُخدمت في هذا البحث مناهج متعددة، من أبرزها المنهج الوصفي، والتحليلي، والمنهج التاريخي، مع الاستفادة من المنهج المقارن.

كما أشار البحث إلى جهود دولة الإمارات في تطوير العربية وتمكينها سعياً إلى تحقيق رؤيتها في أن تكون مقرّ امتياز للغة العربية وتمكينها والنهوض بها؛ ولتحقيق تلك الرؤية أنشئ مجلس الإمارات الاستشاري للغة العربية كما أصدرت وزارة الثقافة بالإمارات تقرير حول (حالة اللغة العربية ومستقبلها)؛ وكان من أهم توصياته تأسيس عمل عربي مشترك بإنشاء مركز أبحاث لتعليم اللغة العربية وتعلمها على أن يكون مقره في الإمارات العربية المتحدة؛ نظراً لمبادراتها الرائدة واهتمامها الكبير بتطوير اللغة العربية، وأن يؤسس هذا المركز على غرار المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، وأن يكون شاملاً لجميع الدول العربية، وأن يكرس جهوده لخدمة اللغة العربية.

Abstract:

This work aims to highlight the role of the Arabic language in human history as a scientific vessel for the cultures of the ancient and medieval world. This language has existed for at least 18 centuries, and it did not even know childhood or old age, as the French orientalist Ernest Renan said. Therefore, the research will address the reasons for its importance and role in the history of human civilization;

- **Firstly**, as a cultural reservoir for a civilization that spanned thousands of years.
- **Secondly**, because it is the only language that is considered the language of civilization and religion for a billion and a half billion people at the present time, and there is no other living language now that marries a civil and religious function.

Arabic remained the language of science, knowledge and human communication during a long period of the Middle Ages. Even in the religious sphere, Arabic was not only used to understand Islamic civilization, but it was also used as a means of understanding what was closed from the Old Testament and the Hebrew language. The Old Testament is the holy book of the Jews and is also a part of the Christian Bible; Therefore, the influence of Arabic extended to the Jewish and Christian faiths as well.

After the Arab-Islamic Renaissance in the Middle Ages, the Arabic language undisputedly became the language of science, culture and diplomacy, as it spread in Asia, Africa and Europe, and is considered the first global language to reach the new world (America).

The research will also address the global role that the Arabic language has played as a global language in the creation and transmission of science, philosophy and all arts to the world throughout the European Dark Ages.

Finally, it will discuss the reality of this language and future scenarios related to its fate, which are three scenarios:

- **The First:** relates to the death of the Arabic language,
- **The Second:** to its survival, and
- **The Third** to its development to become a global language if certain conditions are met.

Multiple approaches were used in the research, most notably the descriptive, analytical, and historical approaches, with the use of the comparative approach.

The research also referred to the efforts of the UAE in developing and empowering Arabic in pursuit of its vision of being the seat of excellence for the Arabic language and its empowerment and advancement.

To achieve this vision, the **Emirates Consultative Council for Arabic Language (ECCAL)** has been established, and the UAE Ministry of Culture issued a report on (*The Status and Future of the Arabic Language*); One of his most important recommendations was the establishment of a joint Arab work to establish a research center for teaching and learning the Arabic language, with its headquarters in the United Arab Emirates; In view of its pioneering initiatives and its great interest in developing the Arabic language, and that this center should be established along the lines of the **Gulf Educational Center for Arabic Language (GECAL)**, and that it should be inclusive of all Arab countries, and to devote its efforts to serving the Arabic language.

أولاً: تمهيد تاريخي

لا يمكن تحديد نشأة اللغة العربية الفصحى، فالنصوص المتوفرة لدينا تشير إلى أنها تعود إلى 18 قرناً على الأقل. فعندما نعود إلى نصي شعري منسوب لهؤلاء بن مالك بن فهم الأزدي (ت نحو 400 ق. هـ / نحو 234م) يقول فيه: «لو كان يُفدى ببيت العزّ ذو كرمٍ، فذاك من حلّ سهل الأرض والجلد»⁽¹⁾، أو إلى نصي لأحيحة بن الجلاح الأوسي (ت نحو 129 ق. هـ / نحو 496م) يقول فيه: «وكريم نال الكرامة منّا، ولئيم ذي نخوة قد أهناً»⁽²⁾؛ أو إلى خطبة هاشم بن عبد مناف (ت 102 ق. هـ / 525م) الجدي الثاني للرسول (ﷺ) التي يحث فيها على رعاية زوار بيت الله الحرام: «يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته...»⁽³⁾؛ أو إلى نصوص المعلمات وغيرها من الشعر الجاهلي-؛ إذا عدنا إلى تلك النصوص القديمة لما خامرنا شك أن ميلاد هذه اللغة سابق لتلك النصوص الناضجة والمزدهرة والحافلة بدقة الوصف والصيغ والتعابير البلاغية والتجارب الإنسانية الراقية التي لا يمكن أن تُلَفَى في لغة ناشئة.

¹ (تاريخ الدخول: <https://www.dohadictionary.org/root> معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، الرابط:

14 / 10 / 2021م).

² المرجع السابق.

³ الكلاعي، الاكتفا بما تضمّنه مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420 هـ / 2000م: 1 / 95.

وهكذا تضاربت الروايات واضطربت، فلا يمكننا الوصول إلى حقيقة تاريخية علمية، وكما اختلف المؤرخون العرب القدماء في نشأتها اختلف فيها أيضًا المؤرخون المعاصرون والمستشرقون الغربيون، فأنطوان شبيتلر يرى أنّ العربية الفصحى تعود إلى ما قبل التاريخ⁴، وزعم يوهان فوك (ت 1974م) أنّها نشأت في عهد الفتوحات الإسلامية⁵. ولكن، كما يقول أحد الباحثين، فإنّ هذين الرأيين أيضًا «لا يستندان إلى أساس علمي أو تاريخي؛ لأنّ ما قبل التاريخ لا يمكن التيقن منه، أمّا أن تكون الفصحى نشأت وصارت لغةً مشتركةً موحدةً بعد الإسلام، فهذا باطل؛ لأنّنا نعرف يقينًا أنّها سبقت الإسلام بزمن طويل»⁶. ويرى الدكتور حسن ظاظا (ت 1419هـ / 1999م) أنّ العربية الفصحى ضاربة في القدم، فلا يُعرف عن بدايتها أكثر ممّا يُعرف عن بداية الكعبة⁷.

أما المستشرق الفرنسي إرنيس رينان (ت 1892م) فيقول: «ومن أغرب المدهشات أن تُنبئت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّة من الرُّحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولةً عند الأمم، ومن يوم أن علّمت ظهرت لنا في حُلّ الكمال إلى درجة أنّها لم تتغير أيّ تغيير يُذكر حتى إنّه لم يُعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة»⁸.

وإذا كنا لا نستطيع أن نجزم بتاريخ محدّد لنشأة اللغة العربية الفصحى، فأغلب ظننا أنّها نشأت منذ قرون قبل الميلاد، وأنها ظلت تُتداول حتى يومنا هذا. ولا توجد لغة في الدنيا استمرت هذه الفترة الطويلة غير اللغة العربية الفصحى. ويعود الدور الأكبر في ذلك لاحقًا إلى القرآن الكريم الذي حماها من مصائر اللغات الأخرى كالآرامية، والمصرية القبطية، والسنسكريتية الهندية، والعبرية والإغريقية القديمتين، واللاتينية، إلخ. ولعل هذا من العوامل والأسباب التي حملنا على القول إنّ اللغة العربية أهم اللغات العالمية من جوانب عدة سنناقشها في هذه العجالة.

ثانيًا: أسباب أهمية اللغة العربية

⁴ فوك، يوهان، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتلر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، 1980م، ص 8.

⁵ العربية، المرجع السابق، ص 19.

⁶ محمد علي، محمد، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، الشارقة، 2021، ص 56.

⁷ ظاظا، حسن، كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، دار المعارف بمصر، 1971م، ص 2؛ نقلا عن: الغوث، مختار، لغة قریش، دار المعراج الدولية للنشر، ط 1، الرياض، 1418هـ / 1997م، ص 294.

⁸ تاريخ اللغات السامية؛ نقلا عن: نينار، د. سيد محمد منور، تأثير اللغة العربية في لغات الهند، ترجمة قاضي عبد الرشيد الندوي، ط 1، 2011م، ص 5 – 6؛ ظاظا، الساميون ولغاتهم، مرجع سابق، ص 135.

1- اللغة العربية خزّان ثقافي لحضارة امتدّت آلاف السنين

عندما نصف لغةً ما بأنها أهمُّ اللغات، فلا بدّ أن يكون مفهوم النسبية ماثلاً في أذهاننا؛ ذلك أن كل أمة تعتزّ بلغتها وتعتبرها أجمل اللغات وأهمّها وأنّ غيرها من اللغات دُوّتها شأنًا وأقلّها مقامًا. فالسومريون يصفون من لا يعرف لغتهم بأنّه جاهل لا يعرف شيئاً عن الكون⁹، والصينيون القدماء يعتبرون غير الناطقين بالصينية بكُماً، والأمم التي لا تتكلم باليونانية برابرةً عند الإغريق القدماء، وعند العرب من لا يتحدّث بالعربية أعجميٌّ؛ وهكذا كلّ يُعني على ليله.

لكن رغم ذلك، ثمة عوامل وأسباب تاريخية وموضوعية تدفعنا إلى الاعتقاد بأن اللغة العربية الفصحى أهمُّ اللغات البشرية من جوانب عديدة؛ أولاً -أنها استمرّت فترة طويلة من التاريخ الإنساني، ولذلك فهي ليست مجرد لغة، ولكنها أيضاً خزّان ثقافي لحضارةٍ ضاربةٍ في القَدَمِ راسخةٍ الجذور. ثانياً - أنها اللغة الوحيدة التي تُعتبر لغةً حضارةٍ ودينٍ لمليار ونصف مليار من البشر، ولا توجد الآن لغة حية تُزاوج بين الوظيفة المدنية والدينية غير هذه اللغة.

فمن موريتانيا إلى إندونيسيا يُصلي المسلمون بهذه اللغة ويتلون القرآن الكريم بها، ولا يوجد هذا في أي لغة أخرى. فلا وجودَ للغة مركزية لأيّ ديانة كبرى في العالم اليوم غير اللغة العربية، فالعرب المسيحيون يُصلون بالعربية، والفرنسيون يصلون بالفرنسية، وهكذا فكل أمة تتعبّد بلغتها.

واللغة العربية هي الوحيدة بين لغات العالم المعروفة التي استمرّت 18 قرناً متتاليةً على الأقل، حيث يستطيع قارئها اليوم فهم النصوص التي وردت في أشعار الجاهليين والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وخاصية الاستمرار التاريخي لا توجد في أي لغة من لغات الدنيا المعروفة على الإطلاق، فالأرامية، والعبرية القديمة، والهندية (السنسكريتية)، والإغريقية القديمة، واللاتينية وغيرها من اللغات الكبرى اختفت من التعاملات الإنسانية منذ زمن بعيد إلا ما كان من بعض الطقوس الدينية المختلفة.

يقول المستشرق الفرنسي ريجستير بلاشير (ت 1973م) مؤكّداً استمرار اللغة العربية على مدى العصور وممرّ الدهور: «(وإني من أشدّ الناس جفاظاً على وحدة اللغة العربية ولي حُجّة تُغيّر بعض المُغايرة ما عندكم وما في أفكاركم فيما يتعلق بمعنى الوحدة العربية، إني ألاحظ أن هذه الوحدة هي لغوية أخلاقية دينية، ولكنّها قبل كل شيء مؤسسة على وحدة تاريخ اللغة. إنّنا كلّما درّسنا اللغة الفرنسية لاحظنا أنّها قد تطورت عبر العصور بحيث نجد لها أطواراً، فإذا قارننا اللغة الفرنسية في القرون الوسطى وجدنا أنّها مُغايرة كلّ المُغايرة للغة المستعملة في القرن السابع عشر ومختلفة أيضاً عن

قاشا، الأب سهيل، الحكمة وإنسان العراق القديم، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بط 1، بيروت، 2011م،⁹ ص 32.

لغتنا اليوم. هذه الوحدة في اللغة الفرنسية لا تتضح لنا إلا بالبحث والمقارنة، في حين أنّ وحدة اللغة العربية تتضح لقارئ، ولو كان أجنبيًا، لأول وهلة. لغة القرآن لا تزال هي لغة اليوم، وهذا ما تتميز به العربية عن اللغات الأخرى»¹⁰.

إن أهمية اللغة العربية تكمن في أنها تُخزّن تاريخ هذه القرون الكثيرة وتحضن الحضارة الإسلامية التي ظلّت لقرون عديدة أرقى الحضارات العالمية، وكانت العربية لغة العلم والمعرفة والتواصل البشري خلال فترة طويلة من القرون الوسطى؛ فهي إذن تختزن تاريخ العلوم من طب وفلك وفيزياء ورياضيات وكيمياء وأحياء وعلوم اجتماعية مثل علم الاجتماع وغيره.

يقول ديفيد جُسُس الخبير المُعْجَمِي في مؤسسة مريام وببستر إن العربية «لغة ذات تأثير أدبي راق لا مثيل له ولغة دين عالمي، كما أنها لغة إمبراطوريات عديدة، ويتمثل دورها جزئيًا في كونها سجلًا ثقافيًا حيًا، وهي سجلٌ ناطق؛ فإذا ما استُخدمت كلمة في القرآن أو في الشعر القديم، فإنها تبقى حيّة، ويمكن لها أن تُستخدم، وتشبه الإنكليزية العربية في كون مفرداتها الهائلة المتنوعة جاءت نتيجةً لمحافظة الأدب عليها... ومع هذا لا يمكن للكاتب الإنجليزي الرجوع إلى أبعد من أواخر القرن السادس عشر، في حين يمكن في العربية أن يعود الكاتب العربي إلى القرن السابع [الميلادي]»¹¹. وحتى في المجال الديني لم تُستخدم العربية في فهم الإسلام فحسب، ولكنها أيضًا استخدمت «بوسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية»¹². فقد ظلّت العربية مصدرًا وينبوعًا لفهم ما استُغلق من العهد القديم واللغة العبرية، والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس وهو أيضًا جزء من الكتاب المقدس عند المسيحيين؛ لذلك امتد تأثير اللغة العربية إلى العقيدتين اليهودية والنصرانية أيضًا. وهذا ما جعل المستشرق الألماني فيرنر أرنولد يصفها بأنها أهم لغة سامية على الإطلاق لأنها «تحتفظ بكثير من الظواهر اللغوية القديمة التي فُقدت مع الزمن في بقية اللغات السامية»¹³. ويرى الفيلسوف الألماني ليوبولد فون رانكه (ت 1886م) «أنّ الثقافة الإنسانية تعتمد على لغتين كلاسيكيتين هما: العربية واللاتينية. وبينما اشتُقت اللغات الغربية من اللاتينية، فقد نَفَت اللغة العربية في الشرق روحًا فنيّة، ولا يمكن فهم

¹⁰ يُنظر: الدكتورة فلاح نورة، «اللغة العربية بين شهادات المقسطين ومكر الكاندين»؛ عند الرابط:

[https://www.researchgate.net/profile/Fellah-](https://www.researchgate.net/profile/Fellah-Noura/publication/340237742_nwr_22/links/5e7e917a299b1a91b827a26/nwr-22.pdf)

[Noura/publication/340237742_nwr_22/links/5e7e917a299b1a91b827a26/nwr-](https://www.researchgate.net/profile/Fellah-Noura/publication/340237742_nwr_22/links/5e7e917a299b1a91b827a26/nwr-22.pdf)

[22.pdf](https://www.researchgate.net/profile/Fellah-Noura/publication/340237742_nwr_22/links/5e7e917a299b1a91b827a26/nwr-22.pdf) (تاريخ الاطلاع: 14 / 10 / 2021م).

¹¹ جستس، ديفيد، محاسن العربية في المرأة الغربية، ترجمة حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1425هـ، ص 29.

¹² فوك، يوهان، «يوهان يعقوب رايسكه (ت 1716 – 1774)»، في: المنجد، صلاح الدين (جمع وإعداد)، المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، ط 1، بيروت، 1978م، ص 16.

¹³ تاريخ الطلاع: 14 / 30961688 / <https://www.saouss.com/alhayat/> موقع جريدة «الحياة»؛ الرابط: 2021 / 10.

المصنّعات الأدبية الفارسية والتركية بدون العودة إلى الكلمات العربية، وخاصة أن وحي القرآن الكريم الذي لا يُجَارَى يُعَدُّ - بلا مرأى - أساس العقيدة الإنسانية والثقافة البشرية»¹⁴. أمّا كلومبوس (ت 1506م) فقد وَصَف اللغة العربية بأنها «أم اللغات جميعها»¹⁵.

2- الانتشار العالمي للغة العربية في العصور الوسطى

بعد النهضة العربية الإسلامية في العصور الوسطى الأوربية، أصبحت اللغة العربية بغير منازع لغة العلم والثقافة والديبلوماسية، إذ انتشرت في آسيا وإفريقيا وأوروبا، بل وصلت إلى العالم الجديد (أمريكا). ويدل على انتشارها العالمي في العصور الوسطى وبداية عصر النهضة أن كولومبوس عندما أراد الذهاب إلى أمريكا ظنّاً منه أنها الهند، أخذ معه تُرجماناً يهودياً يعرف اللغة العربية لأنه كان يدرك أن اللاتينية أو غيرها من اللغات المنتشرة في أوربا آنذاك لن تُمكنه من التفاهم مع الهنود. ولعل من غرائب المصادفات أن نابليون عندما وصل إلى جزيرة كوبا وجد هناك مَنْ يتكلمون باللغة العربية، وكان هذا اليهودي يُترجم بينه وبينهم، فاللغة العربية إذن هي أول لغة عالمية وصلت إلى العالم الجديد (أمريكا)¹⁶.

- يُنظَر: إدريس بن الحسن العلمي، «اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين»، الرابط: ¹⁴
<https://voiceofarabic.net/ar/articles/1748> تاريخ الدخول: 15 / 10 / 2021م؛ ويُنظَر: جاد الكريم، الدكتور عبد الله، الاختصار سمة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م، ص 12؛ الشمري، الدكتور مهدي صالح سلطان، في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب بجامعة بغداد، بغداد، 2012م، ص 13؛ محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 23.
¹⁵ مقل، د. فهمي توفيق، دور العرب والمسلمين في اكتشاف العالم الجديد، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن) (د. ت.)، ص 90.
¹⁶ بارالت، د. لوئي لوبيث، أثر الإسلام في الأدب الإسباني، ترجمة الدكتور حامد يوسف أبو أحمد؛ والدكتور علي عبد الرؤوف البمبي، مركز الحضارة العربية، ط 1، القاهرة، 2000م، ص 41. ويُنظَر: Butwin, Frances, The Jews in America, Minneapolis Lerner Publications Co., U. S. A., 1969 (5th printing 1974), p. 8 ؛ كلاهما نقلًا عن محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 147.

اهتم الأوروبيون في القرون الوسطى وعصر النهضة باللغة العربية وأصبح عدد من العلماء والباحثين المسيحيين من مختلف العلوم والفنون في تلك العصور يتلقون علومهم باللغة العربية (اللغة العالمية آنذاك) ويتجون بها أفكارهم بدلا من اللغة اللاتينية المحتضرة¹⁷.

وظلت العربية حتى زمن متأخر مستعملة في بعض أقاليم إسبانيا؛ إذ نقل المستشرق الهولندي رينهارد دوزي (ت 1883م) عن كتاب «الوسي موزار أبيس دو توليد» أن اللغة العربية ظلت وسيلة الثقافة والفكر في إسبانيا حتى سنة 1570م، وأنها ظلت اللغة المستعملة في بعض القرى التابعة لبلنسية حتى مطلع القرن التاسع عشر¹⁸.

ويقول المستشرق البريطاني ديفيد سامويل مرجوليوث (ت 1940م): «إن اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وإنها إحدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمور استيلاء لم يحصل عليه غيرها: الإنجليزية والإسبانية. وهي تخالف أختيها بأن زمان حدوثهما معروف ولا يزيد سنهما على قرون معدودة، أما اللغة العربية فابتدأها أقدم من كل تاريخ»¹⁹. فاللغة العربية إذن فاقت اللغات الأخرى بقدرتها على الاتصال بالماضي الضارب في القدم، والوفاء بحاجات الحاضر المعقدة²⁰، والمرونة التي تمكنها من ولوج المستقبل بثقة وجدارة.

3- التأثير الثقافي العالمي

أ- تأثير العربية في لغات العالم الكبرى

إن الدور العالمي الذي نهضت به اللغة العربية كلغة عالمية في نقل العلم والفلسفة وجميع الفنون إلى العالم طيلة العصور المظلمة الأوربية هو ما جعل المستشرق الكبير ماسينيون يصفها بأنها لغة السلام العالمي، حين قال: «إن اللغة

¹⁷ أنتيلا، ياكو هاسين، بحرنا المشترك: الشرق مهد الغرب، ترجمة مايا باكلا، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث / دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 1431هـ / 2010م، ص 172.

¹⁸ يُراجع: تاريخ المسلمين في إسبانيا، ج 1، ص 317، نقله عنه: الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، «العربية لغة العلم والحضارة»، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422هـ / 2001م، الرباط، ص 300؛ وأيضا: عبد العزيز بن عبد الله: «اللغة العربية وتحديات العصر»، اللسان العربي، المجلد: 13، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط (1396هـ / 1976م)، المجلد: 13، ص 8.

¹⁹ يُنظر: إدريس بن الحسن العلمي، «اللغة العربية وآراء المفكرين الغربيين»، متاح عند الرابط: <https://voiceofarabic.net/ar/articles/1748> تاريخ الاطلاع: 14 / 10 / 2021م؛ ويُنظر: جاد <https://voiceofarabic.net/ar/articles/1748>

الكريم، الدكتور عبد الله، الاختصار سمة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م، ص 20.

²⁰ يُنظر: أحمد مطر العطية، «اللغة العربية: قضايا الواقع والمعاصرة»، في: اللغة العربية والتعليم: رؤية مستقبلية للتطوير، إعداد ونشر مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط 1، 2008م، ص 34.

العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرَّ حياة اللغة العربية دوليًا فهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم المستقلة في المستقبل»²¹.

والعربية بعد أن انتشرت وسادت أثرت تأثيرًا عميقًا في لغات العالم شرقًا وغربًا. ففي أوربا أثرت في اللغتين الإسبانية والبرتغالية²²، واللغات الأوربية الأخرى. فقد توَّصل الباحث البرازيلي «جواو باتيستا دي ميديرو فارغينز» إلى وجود 3000 كلمة برتغالية من أصل عربي²³، وهذا ما أكَّده مستشرقون سبقوه²⁴. ووهبت العربية اللغة الإسبانية 4000 كلمة²⁵. وتُشير دراسة أخرى إلى أنَّ جزءًا كبيرًا من المعجم الإسباني مُشتقٌّ من أصلٍ عربي²⁶. وقال المؤرخان الفرنسيان

عبد العزيز بن عبد الله، «العربية لغة العلم والحضارة»، مرجع سابق، ص 304؛ الدكتور تركي رابح عامرة، «كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية بعد ظهور الإسلام بقليل»، نقله عن: مجلة دراسات إسلامية، العدد: أ، السنة 14، نوفمبر 1977م، ص 43؛ يُراجع الموقع:

http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_6-4.pdf (14 أكتوبر 2021م).

هناك عدد كبير من الكلمات ذات الأصول العربية في هاتين اللغتين، ينظر: جون براند ترند، إسبانيا والبرتغال / في: أرنولد (إشراف)، تراث الإسلام، مرجع سابق، ص 40 – 54؛ عبد العزيز بن عبد الله، «العربية لغة العلم والحضارة»، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422 / 2001، الرباط، ص 301.

البحث بعنوان «الكلمات البرتغالية ذات الأصول العربية»، ونال الباحث مع إلياس خوري جائزة اليونيسكو – الشارقة للثقافة العربية لسنة 2011م؛ انظر: مجلة «الإعلام والعصر» الصادرة عن مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام (أبوظبي) / عدد 26 – يوليو 2013م، ص 113؛ وألف جان دي صوصه (ت 1812م) معجمًا في الكلمات البرتغالية ذات الأصول العربية؛ كما ألف المستشرقان دوزي وإنجلمان معجمًا في: Reinhardt Dozy et W. H. Engelmann، الكلمات الإسبانية والبرتغالية ذات الأصول العربية: Glossaire des mots espagnols et Portugais dérivés de l'arabe (1869)

عبد العزيز بن عبد الله، «العربية لغة العلم والحضارة»، بحث منشور في مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422 هـ / 2001م، الرباط، ص 300.

؛ في كتابه: أوربا والإسلام، Professor Pedro Martínez ontávez كما قال بيدرو مارتينيث مونتايث راجع: مجلة «الإعلام والعصر» الصادرة عن مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام (أبوظبي) / عدد 27 – أغسطس 2013م، ص 121.

جاه، شريف عبد الرحمن، لغز الماء في الأندلس، ترجمة زينب بنياية، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة «كلمة»، أبوظبي، 2015م، ص 176.

لُويس سِيدِيُو (ت 1875م) وِغُوستاف لُوبون (ت 1931م) إِنَّ لِلِغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَأْثِيرًا فِي اللِّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ²⁷. وتوصَّل الدكتور غالب بن شيخ، وهو فرنسي من أصل عربي ورئيس المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام، إلى أن الفرنسيين يتداولون في لُغَتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ 3000 كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ دُونَ أَنْ يَدْرِكُوا ذَلِكَ²⁸. كما أثَّرت اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي اللِّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ، فَقَدْ كَشَفَ الْبَاحِثُ الْأَلْمَانِيُّ أَنْدِرِيَّاسُ أُونَجِرُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَدَرَ بِالْأَلْمَانِيَّةِ بِعَنْوَانِ: (من الجبر إلى السكر: الكلمات العربية في اللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ) أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ أَكْثَرُ اللِّغَاتِ غَيْرِ الْأُورِيبِيَّةِ تَأْثِيرًا فِي الْأَلْمَانِيَّةِ²⁹. وأورد هذا الباحث كثيرًا من الكلمات الألمانية المستعارة من العربية من طريق الأندلس وإيطاليا، ويقول: «إن ذلك الأثر العربي في اللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ لَمْ يَكُنْ مَحْضَ صُدْفَةٍ، فَقَدْ وَصَلَتْ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أُوْرِيَّا فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى عِنْدَمَا كَانَتْ الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةَ مَرْكَزَ إِشْعَاعٍ ثِقَافِي فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ. وَكَانَ أَبْرَزُ مَا يَمِيْزُهَا أَنْذَاكَ هُوَ الْإِنْفِتَاحُ تَجَاهَ الثَّقَافَاتِ الْأُخْرَى، بِاسْتِعَابِهَا وَالْأَخْذَ عَنْهَا، وَدَمْجِهَا فِي الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَدِيدَةِ»³⁰.

أما تأثيرها في اللغات الآسيوية والإفريقية فحدِّث عنه ولا حرج، فهي مَنَحَتْ الْفَارْسِيَّةَ نِصْفَ مَعْجَمِهَا³¹؛ حَتَّى قَالَ الْمَوْخُ الْفَرَنْسِيُّ غُوسْتَاْفُ لُوبُونُ: «إِنَّ لِلِغَةِ الْعَرَبِ فِي بِلَادِ الْفَرَسِ شَأْنًا كَالَّذِي كَانَ لِلِغَةِ اللَّاتِيْنِيَّةِ فِي الْغَرْبِ فِي الْقُرُونِ

²⁷ لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار العالم العربي، ط 2، القاهرة، 2011، ص 441 – 442؛ سِيدِيُو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط 1، 1431 هـ / 2010م، ص 12.

²⁸ ذكر ذلك الدكتور غالب بن شيخ، المذكور قبل، في حديث له في قناة «سكاي نيوز عربية» في برنامج «بصراحة»، يوم الأحد 6 يوليو 2014، بين الساعة 7 و8 مساء بتوقيت غرينيتش / الساعة 11 و12 مساء بتوقيت الإمارات العربية المتحدة؛ نقلًا عن محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 158.

²⁹ أندرياس أونجر (بالتعاون مع: أندرياس كريستيان إيزلبا)، من الجبر إلى السكر: الكلمات العربية في اللُّغَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ، مطبعة فيليب ركلام يون، بمدينة شتوتجارت الألمانية، 2007م. وهو باللغة الألمانية وعنوانه: Andreas Unger, Von Algebra bis Zucker: Arabische Wörter im Deutschen, Reclam, 2007

³⁰ (تاريخ الدخول: 14 / <https://elaph.com/Web/Culture/2013/1/786569.html> ينظر موقع إيلاف: 10 / 2021).

³¹ أعلن مجمع اللغة الفارسية في طهران أنَّ نَحْوَ 60% مِنْ مَعْجَمِ اللِّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ مِنْ أَصْلِ عَرَبِيٍّ؛ نَقْلًا عَنْ: الدكتور بسام ربايعه، أستاذ الأدب الفارسي في جامعة الملك سعود؛ يُنظَرُ مَوْقِعَ صَحِيفَةِ مَكَّةَ، عِنْدَ الرَّابِطِ التَّالِيِّ: <https://makkahnewspaper.com/article/392185/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9%D9%85%D9%86-%D9%85%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%A7%D8%AA->

الوسطى»³². ولا يخفى تأثير العربية في اللغة التركية، فقد مرّ بنا كلام المفكر الألماني ليوبولد فون رانكه في هذا السياق. وامتدّ تأثير العربية إلى اللغات الهندية والأردية والتاميلية. يقول الدكتور محمد منور نينار: «وهكذا ازدهرت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي بفضل هذا التمازج الذي حدث بين اللغة العربية ولغات شعوب أخرى اعتنقت الدين الإسلامي الحنيف، وأصبحت اللغة العربية تؤثر على اللغات الأخرى تأثيراً بعيد المدى، مثلما أثّرت اللغة اللاتينية واليونانية على اللغة الإنجليزية. وقد لا يكون من المبالغة إذا قلنا إنّ اللغة العربية أصبحت الأمّ الحاضنة لكثير من اللغات»³³. ومنحت اللغة العربية كثيراً من اللغات الإفريقية عدداً لا يُحصى من المفردات والمصطلحات والتركيب المختلفة، وهو ما لا تتسع هذه العجالة للحديث عنه.

ب- احتضان العربية للعلم والفلسفة في العصور الوسطى

أظن أننا لسنا بحاجة إلى الحديث طويلاً عن احتكار اللغة العربية للعلوم والفلسفة في العصور الوسطى؛ إذ ظلت العربية اللغة الوحيدة التي يُرجع إليها لمعرفة الفلسفة والفيزياء والرياضيات والكيمياء والفلك والطب. فتلك مجالات احتكرتها العربية خلال العصور المظلمة في أوروبا قبل أن يتنبّه الغرب ويستيقظ لترجمة هذه المعارف العلمية التي دونها العرب وأنتجوها وأبدعوا فيها مستفيدين من علوم الأمم التي سبقتهم من بابليين ومصريين وهنود وإغريق وفرس، ومضيفين إليها إبداعاتهم واختراعاتهم الكثيرة التي لا تحصى، والتي اعترف بها لهم كثير من الباحثين والعلماء والمفكرين الأوروبيين. لذلك وصف جورج سارتون (ت 1956م)، مؤسس تاريخ العلم، اللغة العربية بأنها لغة العلم والفلسفة خلال أربعة قرون في كتابه: تاريخ العلم³⁴. وقال أرنست رينان «إنّ اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإنّ استمرار

%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D8%A9-

%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-60 (تاريخ الدخول:

13 / 10 / 2021م). ويقول الدكتور حسن ظاظا إنّ نسبة الكلمات العربية في الفارسية تتجاوز 50 %؛

يُراجع: اللسان والإنسان، مرجع سابق، ص 119.

³² حضارة العرب، مرجع سابق، ص 566.

³³ نينار، د. سيد محمد منور، تأثير اللغة العربية في لغات الهند، ترجمة قاضي عبد الرشيد الندوي، ط 1،

2011م، ص 16.

³⁴ تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة وتقديم إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة

فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة / نيويورك، 1961م، ص 167 فما بعد؛ وانظر حديثه المفصل عن أهمية

العربية، ص 159 – 167.

حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الأمم فى المستقبل»³⁵. ويقول روم لاندو³⁶: «بحلول القرن الحادى عشر [الميلادى] أصبحت العربية أهم لغة للاستعمال المشترك من إسبانيا العربية إلى الهند المسلمة. وحلت هذه اللغة كوسيلة أساسية للثقافة محل لغات الثقافة القديمة مثل القبطية والآرامية، والإغريقية، والسريانية، واللاتينية. وأصبحت العربية لغة البلاط والكنيسة، ولغة الثقافة والعلم. وكانت ولا تزال الرابطة [الموحدّة للجميع]».

ويقول غوستاف لوبون مشيراً إلى اللغة العربية: «وقد كانت طوال قرون عديدة فى العصور الوسطى لغة العلم والثقافة والفكر الرافى فى جميع أنحاء العالم المتمدّن بحيث كان ما أُلّف فيها فيما بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر من التآليف الفلسفية والطبية والتاريخية والدينية والفلكية والجغرافية أكثر ممّا أُلّف فى لغة أخرى. وهذه لغات أوروبا الغربية لا تزال إلى الآن تحمل أثر الطابع العربى فى طائفة كبيرة من الألفاظ المُستعارة. وإنّ حروف الهجاء العربية، بعد اللاتينية، هى أكثر الحروف انتشاراً فى العالم»³⁷.

وقد استخدّم العلماء العرب والمسلمون اللغة العربية فى إنتاجهم واختراعاتهم وابتكاراتهم وشروحهم لعلوم الأوّلين. فكُتّب بها جابر بن حيان (ت 200هـ / 815م) رائد علم الكيمياء؛ ومحمد بن موسى الخوارزمى (ت 236هـ - 850م) مخترع الجبر؛ وثابت بن قرّة (288هـ / 901م) وأبو معشر البلخى (ت 272هـ / 886م) الفلكيان البارزان؛ وابن الهيثم (430هـ / 1039م) رائد علم الفيزياء؛ وابن سينا (ت 428هـ / 1037م) وأبو بكر الرازى (ت نحو 311هـ / 923م) الطبيبان الرائدان؛ وابن البيطار (646هـ / 1248م) الرائد فى علم النبات والذى اكتشف مئات الأصناف من العقاقير الطبية؛ وابن الرزاز الجزرى (ت 607هـ / 1210م) الذى اخترع كثيراً من الآلات الصناعية وبرز فى علم الهندسة الميكانيكية؛ وجشميد الكاشى (832هـ / 1429م) مخترع علم الكسور؛ وابن خلدون (ت 808هـ / 1406م) مؤسس علم الاجتماع؛ إلخ.

فخلال تلك القرون ظلّت العربية مستوية على عرش العلوم والمعارف والاختراعات البشرية المختلفة، ويرجع إليها العلماء فى كل أصقاع العالم، ولا سيما الأوروبيين، لدراسة تلك العلوم. ومن هؤلاء، على سبيل المثال، البابا سيلفستر

نقلا عن: الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، «العربية لغة العلم والحضارة»، مرجع سابق، ص 304؛ عبد العزيز³⁵ بن عبد الله، «اللغة العربية وتحديات العصر»، ص 8؛ وانظر أيضاً: جرونيباوم، غوستاف حضارة الإسلام، نقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص 58 - 59.

³⁶ Landau, Rom, Islam and The Arabs, New York, The Macmillan Company, 1959, op. cit., p. 196 يُنظر:

³⁷ لوبون، حضارة العرب، مرجع سابق، ص 30.

الثاني (ت 1003م) الذي ذهب إلى جامعات الأندلس ومدارسها لدراسة العربية وعلومها من أجل النهوض بأوروبا³⁸، بل يُقال إنه دَرَسَ أيضًا في جامعة القرويين العريقة بفاس³⁹. ومنهم الإمبراطور فريدريك الثاني (ت 1250م) الذي أتقن العربية في صقلية وجمع في بلاطه علماء وفلاسفة العرب والمسلمين وصار يُلقَّب بـ«سلطان صقلية». ومنهم توما الإكويني (ت 1274م)، وألبير الكبير (ت 1280م) مؤسس النظام المدرسي (السكولاستية)؛ وروجر بيكون (ت 1292م)، مؤسس العلوم التجريبية في أوروبا؛ وغير هؤلاء ممن درسوا العربية وتأثروا بالحضارة العربية الإسلامية التي قامت عليها النهضة الأوروبية.

ثالثًا: واقع اللغة العربية ومستقبلها

1- واقع اللغة العربية

يقول جبران خليل جبران (ت 1931م) «إِذَا هَجَعَتْ قُوَّةُ الْإِبْتِكَارِ تَوَقَّفتِ اللُّغَةُ عَن مَسِيرِهَا»، ومما لا شك فيه أننا اليوم نحن أبناء هذه اللغة مُصابين بالركود والخمول بعد أن توقفت فينا روحُ الإبداع والابتكار منذ زمن طويل، وصيرنا عالمةً على الأمم الأخرى بعد أن كُنَّا قادة الأمم في مجال العلم والصناعة والمعرفة. وهذا الركود العلمي ينعكس بشكل كبير على اللغة العربية، فاللغات تتطور وتتقدم بتطور أهلها وتقدمهم؛ أي أن حال اللغة من تقدُّم أو تَرَدٍّ رهين بحال أهلها وواقعهم.

واللغة العربية تعاني اليوم تخلف أهلها في المجال العلمي والتقني، وتقاسي فوق ذلك إهمالهم لها وتقصيرهم في حقها؛ أهملوها في التعليم والإدارة، فدرَّسوا المواد العلمية باللغات الأجنبية (الفرنسية في المغرب العربي والإنجليزية في المشرق العربي)، مع أنَّ الأبحاث والدراسات العلمية تؤكد أن تدريس المواد للأطفال بلغة الأم هو السبيل الأنجع للفهم والإبداع، إذ لا يستطيع الإنسان أن يبدع بغير لغته الأم. والدراسات في هذا مستقيضة ولا يتسع المجال للخوض فيها.

³⁸ Mosheim, John Laurence, An Ecclesiastical History, Ancient and

Modern, translated from the original Latin, illustrated with Notes, Chronological Tables, and an Appendix, by Archibald Maclaine, A new edition in two volumes,

Baltimore: Plaskitt & Cugle, 1840, Vol. I, p. 242؛ ويُنظر أيضًا: هونكه، أثر العقيدة والمعرفة

الإسلامية في الحضارة الغربية، ترجمة عمر لطفي العالم، دار قتيبية، ط 1، دمشق، 1434 / 2013، ص 88 – 89.

³⁹ الحسني، سليم (مُحرَّر)، ألف اختراع واختراع: التراث الإسلامي في عالمنا، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا

والحضارة بالاشتراك مع ناشيونال جيوغرافيك العربية (الطبعة العربية 2011م)، المملكة المتحدة، ص

318.

ونعتقد أن سبب تخلفنا العلمي والتكنولوجي هو اعتمادنا تدريس العلوم في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بلغات أجنبية. نعم لا بد من تدريس اللغات العالمية للتلاميذ والطلاب لكي يفتحوا على العالم، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك على حساب اللغة العربية؛ لأنها اللغة التي يمكن أن يبدعوا بها.

ف«لكل شعب ثقافته التي يتميز بها عن غيره، واللغة هي مرآة ثقافة الشعوب ووسيلتهم التي يستخدمونها للتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة: عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، في إطار التكامل بين اللغة والثقافة، فكلاهما يُكتسب بصورة اجتماعية، والتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية، وتبرز تلك الأهمية بوضوح في مجال تعليم اللغات عامة، وتعليم اللغة العربية على وجه الخصوص»⁴⁰.

إن اللغة العربية بالنسبة لنا ليست مجرد لغة للتواصل والتفاهم، ولكنها أيضاً جزء من كياننا وهويتنا وتاريخنا، فإذا أهملناها وتركناها تواجه مصيرها بنفسها، فإننا سنظل عالمة على الأمم الأخرى نستورد علومها ونستسخ تجاربها دون أن نضيف شيئاً يُذكر للحضارة الإنسانية التي كنا في عصر من العصور روادها وضئاعها.

لقد واجهت اللغة العربية تحديات كثيرة واجتازتها بقوتها وعبقريتها، فهي عانت التهميش في عهد الإمبراطورية العثمانية، وتعرضت للإبادة في عهد الاستعمار الأوربي، كما هو معروف، وهي اليوم تواجه عولمة ثقافية وعلمية وصناعية لا نظير لها في التاريخ البشري. فقد وضع الاستعمار استراتيجية شاملة ومتكاملة للقضاء عليها، ارتكزت على أساسين: أولهما إقصاؤها من التعليم والإدارة وإحلال لغاته بالتدريج محلها، وثانيهما جعل الشعوب المستعمرة تزدري لغاتها وتخل منها⁴¹.

وهذه الاستراتيجية تستهدف تدمير المقاومة الذاتية لهذه الشعوب؛ لأن تدمير اللغة والتعليم هو السلاح الأمضى لتدمير معنويات الشعوب وإخضاعها. يقول ألفريد رامبو، وزير التربية والتعليم الفرنسي (في الفترة: 1896 - 1898م): «في بداية الأمر احتلت الجزائر عسكرياً، وأكمل هذا الأمر عام 1871 عندما نجحت فرنسا في نزع سلاح القبائل. ومن ثم جعلنا الجزائريين يقبلون أنظمتنا الإدارية والقضائية. بعد ذلك قامت المدرسة بتأكيد غلبة لغتنا على اللغات المحلية، وبالتالي زرغنا في أذهان هؤلاء المسلمين أفكارنا»⁴². وإذا كان الاستعمار قد فشل في تحقيق تلك الأهداف بفضل

⁴⁰ الدكتور عيسى صالح الحمادي، «كيفية إعداد جيل جديد من معلمي اللغة العربية قادر على تغيير حال تدريس اللغة العربية»، في: تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الثقافة والشباب، دولة الإمارات العربية المتحدة، الصادر 18 ديسمبر 2020، ص 364.

⁴¹ ينظر في هذا الصدد: محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 176 - 184.

⁴² PHILIPSON, Robert, Linguistic Imperialism, London, Oxford University Press, يُنظر: 1992.180 ؛ نقلا عن: محمد علي، المرجع السابق، ص 180.

المقاومة الجزائرية العظيمة، فإنه نجح في تهميش العربية وإقصائها من التعليم والإدارة في الدول العربية للأسف، وهذا ما نرى انعكاساته ونتائج الآن، فالإنجليزية تحتكر التعليم العلمي في مشرقنا والفرنسية تحتكره في مغربنا.

إن السياسة الاستعمارية في كل مكان، وليس فقط في الدول العربية، استهدفت القضاء على لغات الشعوب ونظمها التعليمية، وهذا ما عبر عنه توماس مگولاي (ت 1859م) مهندس الاستعمار الثقافي والتعليمي في الهند حين قال: «لا أظن أبداً أننا سنقهر هذا البلد (الهند) ما لم نكسر عظام عموده الفقري التي هي لغته وثقافته وتراثه الروحي»⁴³.

ورغم ذلك ظلت اللغة العربية تقاوم مخططات الاستعمار بقوتها الذاتية؛ يقول المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك (ت 1995م): «إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات. فهي التي حالت دون دوتان المغرب في فرنسا. إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وكانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية»⁴⁴.

فاللغة العربية إذن بقيت قلعة صامدة وملاذاً منيعاً نلجأ إليه عندما يتعرض وجودنا لخطر. واليوم جاء تحدي العولمة الذي فرض هيمنة اللغات المنتجة للعلم والتكنولوجيا والقوة الاقتصادية والثقافية، ولا سيما اللغة الإنجليزية التي تكاد تهمش جميع لغات العالم في عصرنا الحالي، ومن هنا فإن حماية اللغة العربية وتطويرها ومواجهة العقبات التي تعترضها تُعد جزءاً من الأمن القومي العربي، كما يرى بعض الباحثين⁴⁵.

والواقع العربي اليوم في ظل العولمة كما يرى تقرير حال اللغة العربية (2020) «مرهون لجديلات التمسك بالتراث والهوية والانخراط في ركب المعاصرة والتطور، ولذلك تبرز اللغة العربية في جوهر النقاش من حيث كونها من أعرق عناصر الهوية وأهم أدوات التفاعل في المجتمعات العربية من جهة، ومن حيث كونها وسيلة في الانخراط المعرفي نحو المعاصرة الواعية والمستقبل الواعد من جهة أخرى»⁴⁶.

⁴³ يُنظر العكش، منير، أمريكا والإبادات الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2009، ص 13.

⁴⁴ رشيد بلحبيب، «الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم»، في: مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، بيروت، 2013م، ص 261.

⁴⁵ رشدي أحمد طعيمة، «اللغة العربية بين مهددات الفناء ومقومات البقاء والجدل حول واقعها المعاصر»، في: اللغة العربية والتعليم: رؤية مستقبلية، مرجع سابق، ص 58.

⁴⁶ تقرير حالة اللغة العربية، مرجع سابق، ص 22.

وإذا نظرنا إلى الخريطة اللغوية العالمية وجدنا أن هناك نحو 7000 لغة متفرقة في جميع أنحاء العالم، وهي تتفاوت من حيث القوة والضعف والانتشار والانحسار. وتتربع اللغة العربية مع خمس لغات أخرى على قمة الهرم اللغوي، فهي إحدى اللغات الرسمية الست في الأمم المتحدة (اللغات الأخرى هي الصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية)؛ وهي لغة رسمية ولغة عمل في جامعة الدول العربية، وهي إحدى لغات العمل في الاتحاد الإفريقي مع الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية؛ ولغة رسمية لمنظمة التعاون الإسلامية مع الإنجليزية والفرنسية.

واللغة العربية اليوم لغة الأم لنحو 450 مليون عربي وفق تقديرات منشورة هذه السنة (2021م)⁴⁷، ولغة ثانية لملايين المسلمين في العالم⁴⁸، ولغة عبادة لنحو مليار وثمانمائة مسلم⁴⁹، وكثير من المسيحيين العرب مثل كنائس الروم الأورثوذكس، والروم الكاثوليك، والسريان، وبعض الكنائس البروتستانتية⁵⁰. وللغة العربية حضور لا بأس به في الشبكة ووسائل التواصل الاجتماعي، وإن كان ذلك دون المأمول.

وهذا واقع إيجابي ومؤشر باعث على الأمل، ولكن في الجانب الآخر ثمة تحديات تواجه اللغة العربية في المحيط العربي والعالم، ويمكن إجمالها في ما يلي:

- 1- إهمال العرب لها في التعليم والإدارة والبحث العلمي والندوات العلمية؛
- 2- النظرة الخاطئة إليها باعتبارها لغة أدب وتراث، لا لغة علم وتكنولوجيا؛

؛ عند الرابط: Arab Development Portal وفق تقديرات تقرير: ⁴⁷

<https://www.arabdevelopmentportal.com/indicator/demography>

يُقدّر بعض الدراسات عدد المتحدثين باللغة العربية في العالم بسبعمئة مليون نسمة (موزعين في الدول العربية وبلدان إسلامية وغربية)؛ يُنظر: الفوصي، محمد عبد الشافي، عبقرية اللغة العربية، الإيسيسكو، الرباط، 1437هـ / 2016م، ص 53؛ نقلا عن: محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 119.

⁴⁹ وفقا لإحصائيات مركز بيو للأبحاث؛ يمكن الاطلاع على موقع قناة «الحرّة»، عند الرابط:

<https://www.alhurra.com/choice-alhurra/2019/04/02/%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%85-%D8%A3%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D9%8A%D9%86-4-%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%AF> (الدخول: 17 / 10 / 2021م).

⁵⁰ الفوصي، المرجع السابق، ص 53؛ نقلا عن: محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، المرجع السابق، ص 119.

- 3- اشتراط معرفة اللغة الأجنبية للتعين في كثير من الوظائف العليا؛
- 4- مزاحمة العاميات لها في برامج ومحتويات وسائل الإعلام المختلفة، ولا سيما منصات التواصل الاجتماعي؛
- 5- تخلف الناطقين بها علميا وتقنيا؛
- 6- العلاقة المضطربة مع لغات الأقليات؛ والتي تتطلب دعم لغات الأقليات وحمايتها، مع المحافظة على العربية كلغة مركزية موحدة؛
- 7- عدم فعالية برامج ووسائل تدريسها؛
- 8- ضعف مستوى معلمي اللغة العربية، ذلك أن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية، وله مكان الصدارة بين العوامل التي يتوقف عليها نجاح التربية في بلوغ غاياتها ولا يمكن الفصل بين مسؤوليات المعلم والتغييرات الأساسية التي تتم في مجتمعه. لذلك «فإن عمليات اختيار وإعداد وتدريب المعلمين عامة ومعلمي اللغة العربية خاصة لتزويدهم بالمهارات والكفايات التي تؤهلهم للقيام بمهامهم ومسؤولياتهم لا بد لها أن تتم وفق معايير عالية المستوى من الجودة والتكامل والشمول»⁵¹؛
- 9- ضعف المحتوى الرقمي (على الشبكة العنكبوتية)؛
- 10- الانتقال إلى معاجم رقمية؛
- 11- فوضى التعريب التي أدت إلى طغيان المصطلحات الأجنبية؛ وضعف الترجمة؛
- 12- الانتقال إلى معجم تاريخي، وهنا نرف إليكم بشارة وهي أن هذا المشروع الجليل تبناه ورعاه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، حفظه الله، وقد صدر حتى الآن ثمانية أجزاء من هذا المعجم وستصدر الأجزاء الأخرى بإذن الله. ولا شك أن هذا حلم ظل يراود الباحثين والعلماء منذ قرن؛
- 13- عدم توحيد المصطلحات العلمية في الدول العربية؛
- 14- الانتقال إلى الحوسبة اللغوية (أو علم معالجة اللغات الطبيعية في الحاسوب)، وهذا ناتج عن بعض المصاعب المتعلقة بتشكيل اللغة العربية وتدقيقها الإملائي وغير ذلك. لكن هناك دراسات أجريت للتغلب على هذه العقبات، وقد تم بالفعل تحديد قواعد اللغة العربية وبناء نموذج لآليتها عن طريق ما يُعرف بـ«النظرية التوليدية والتحويلية» التي تساعد في «تقديم صورة مكتملة عن النظرية اللسانية، والتي تتناول

الدكتور عيسى صالح الحمادي، «كيفية إعداد جيل جديد من معلمي اللغة العربية قادر على تغيير حال تدريس اللغة العربية»، في: 51
تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الثقافة والشباب، دولة الإمارات العربية المتحدة، الصادر 18 ديسمبر 2020، ص 189، ص 364.

قضايا اللغة وتفسرها وتقدم بذلك نظرة ملموسة وواضحة عن بنية اللغة الإنسانية واكتسابها⁵²؛ لكن تلك الجهود لا تزال دون المأمول.

2- مستقبل اللغة العربية

اللغة العربية تملك قدرة ذاتية للانتشار والتكيف مع المتغيرات المختلفة ومقاومة التحديات التي تعترضها. وإن «نشر اللغة العربية أو انتشارها العالمي، كغيرها من اللغات، يخضع لعوامل موضوعية (سياسية واقتصادية وعسكرية وتقنية، إلخ)، مثل حال الإنجليزية اليوم، وحال العربية نفسها في العصور الوسطى»⁵³. لكننا لا يمكن أن نغفل العامل الذاتي للغة، فاللغات تتفاوت في قدراتها الذاتية على مواكبة التطورات ومواجهة التحديات، وقد أثبتت دراسة علمية أعدتها جامعة برمنغهام «أن كل لغة تملك خصائص ذاتية تجعلها تتطور عبر الزمان والمكان، وأن اللغة عُمُرًا مثل عمر الإنسان تتشأ فيه وتتضج وتشيح ثم تموت. والمُدْهَش أن هذه الدراسة اكتشفت أن العربية خالية من أسباب الشيخوخة وعوامل الفناء؛ لأنها تملك خصائص تجعلها تُجَدِّد نفسها من داخلها» لتحيى من جديد عبر العصور المختلفة. وهذه الخصائص هي ... الاشتقاق، والترادف، والتعريب وغيرها من الوسائل التي تستخدمها العربية لتجديد خلاياها لتواكب كل عصر مع احتفاظها بأصولها وثوابتها»⁵⁴.

وقد توصلت دراسة حديثة نشرها المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج إلى ثلاثة سيناريوهات (تصورات) لمستقبل اللغة العربي في ظل التحديات الداخلية والعالمية⁵⁵:

السيناريو الأول: موت اللغة العربية

ينطلق أنصار هذا السيناريو أو التصور من حال الضعف والتخلف الذي تعانيه الأمة العربية، فقد رأينا أننا أنفأ أن اللغة مرآة صادقة لأهلها، فإن هم تقدموا وأبدعوا تقدمت وأبدعت، وإن هم تخلفوا وهَجَعُوا تخلفت وهَجَعَتْ. والواقع الحالي للعرب يغلب عليه طابع التخلف والركود، ومن شأن هذا الوضع إذا استمر أن يؤدي إلى زوال لغتهم، كما يقول مؤيدو هذا السيناريو.

⁵² تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الثقافة والشباب، دولة الإمارات العربية المتحدة، الصادر 18 ديسمبر 2020، ص 189.

⁵³ محمد علي، محمد، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 258.

⁵⁴ محمد علي، محمد، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، المرجع السابق، ص 258.

⁵⁵ للتفاصيل يُنظر: المرجع السابق، ص 241 - 271.

لكن هذا التصور - كما تشير الدراسة - مستبعد؛ لأن اللغة العربية لها تاريخ عنيذ وصلب في مقاومة التحديات، ويمثل القرآن الكريم حصناً منيعاً لحمايتها من الزوال والاختفاء كما حدث للغات أخرى، كالآرامية والسنسكريتية والعبرية والإغريقية القديمتين واللاتينية؛ إلخ.

السيناريو الثاني: بقاء العربية على حالها

يرى أصحاب هذا السيناريو أن العرب رغم ما يعانونه من ضعف، فإنهم ليسوا على تلك الدرجة القاتمة من التخلف، بل هناك جهود كبيرة تبذل للقضاء على هذا التخلف العلمي وردم الهوة بينهم وبين الدول المتقدمة. فثمة إدراك حقيقي لهذه المشكلة ومحاولة التغلب عليها من خلال المشاريع العلمية الطموحة، ونشير هنا إلى مشروع «مصباح الأمل» الذي أطلقته الإمارات في بداية 2021، على سبيل المثال؛ إذ لا يتسع المجال لذكر جميع المشاريع العلمية الطموحة التي تنفذها الدول العربية.

وخلاصة هذا السيناريو «أن التفاوت التقني الحديث يُكرّس الهيمنة العلمية والاقتصادية والسياسية واللغوية لدول قابلة تملك ناصية العلوم، وعلى قِمَتها الولايات المتحدة الأمريكية، فلا عَجَب أن نرى الإنجليزية تترَبّع اليوم على قِمة الهَرَم اللغوي في العالم. لذلك سنظل العربية على حالها دون تقدم يُذكر، لبقاء أهلها متخلفين؛ أي أنّ العربية ستبقى على هذه الحال (الحرجة)»⁵⁶ دون تقدّم يُذكر في المجال العلمي والتقني.

السيناريو الثالث: تطور العربية لتصبح لغة عالمية

وستتوسع قليلاً في هذا السيناريو الذي يستند إلى مؤشرات علمية وعالمية تدل على أن اللغة العربية اليوم تتبوأ مكانة دولية كبيرة، كما رأينا آنفاً، لكنّ المكانة الدولية ليست المكانة العالمية، فالأولى مُتعلِّقة بالدول والمنظمات الدولية؛ أما الثانية فتتعلّق بالعالم كله من دُول، ومجتمعات، وشركات عالمية، وأدب وثقافة، وتجارة عالمية، وإنترنت، وغير ذلك من الأنشطة العالمية⁵⁷.

فباللغة العربية وفق هذا التصور تُحرز تقدُّماً ملحوظاً في مجالات عالمية عدة، فالعولمة، رغم ما لها من سلبيات، لها أيضاً تأثير إيجابي في اللغة العربية، إذ مكَّنتها التقنيات الحديثة المرتبطة بالعولمة من التوسع في مجالات كثيرة ومن استيعاب مصطلحات ضخمة واحتواء جوانب ثقافية عالمية مختلفة. ذلك أن العربية الفصحى، كما بزَّهَن تاريخها الطويل، لها قدرة فائقة على امتصاص المصطلحات والتعبيرات الكثيرة من لغات العالم المختلفة، بل من اللهجات

⁵⁶ محمد علي، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، مرجع سابق، ص 254.

⁵⁷ المرجع السابق، ص 257.

العربية القديمة؛ يقول الفراء: «كانت العربُ تَحْضُرُ المَوسِمَ في كل عام وتَحُجُّ البيتَ في الجاهلية، وقريشٌ يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا أفصح العرب وخالَتْ لغتهم من مُسْتَبْشَع اللغات ومُسْتَقْبَح الألفاظ...»⁵⁸، وهذا ما سلكته العربية الفصحى مع كثير من لغات العالم القديمة من فارسية وهندية ورومية وحبشية ولغات حديثة كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وغيرها. فاللغة العربية من هذا المنظور خزانٌ أيضًا للغات العالم عبر العصور المختلفة، ومن هنا تكمن أهميتها وغناها ومرونتها.

وقد أشرنا آنفًا إلى حضور اللغة العربية في المنظمات الدولية والإقليمية، وهي أيضًا حاضرةً (نسبيًا) في الشبكة العنكبوتية، وفي وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها المختلفة. يقول الدكتور فايق عويس مدير الخدمات اللغوية والتعريب في غوغل إن العربية من أهم عشر لغات وأسرعها نموًا على الشبكة العالمية (الإنترنت)، مشيرًا إلى أن «غوغل تطلق من هذا الفهم لتعزيز المحتوى العربي على الإنترنت لخلق محتوى عربي أكثر كَمًا وأكثر تنظيمًا وأكثر ثراءً». وأوضح أن العربية تأتي ضمن «أكثر خمس لغات عالمية سلاسةً وقُرْبًا من المستخدمين»⁵⁹.

أما موقع «أتون إنستيتوت» (etoninstitute.com) فأدرج اللغة العربية سنة 2017م ضمن سِتِّ لغات عالمية أكثر فائدةً لِمُتَعَلِّمِيهَا، وهي: العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والماندرين الصينية والإسبانية⁶⁰. وفي دراسة أخرى (2017م) تأتي العربية في المرتبة الرابعة ضمن عشر لغات هي الأكثر انتشارًا في العالم، وهي: الإنجليزية (ويتحدث بها 25% من سكان العالم)؛ والماندرين الصينية (18,5%)؛ والهندية (11,5%)، والعربية (6,6%)، والإسبانية (6,25%)، والروسية (3,95%)، والبرتغالية (3,26%) والبنغالية (3,19%)، والفرنسية (3,05%) والألمانية (2,77%)⁶¹.

أما موقع إحصاءات الإنترنت العالمية (Internet World Stats) فقد وضع العربية في المرتبة الرابعة بعد الإنجليزية والصينية والإسبانية ضمن مستخدمي الإنترنت في اللغات العشر الأولى في العالم سنة 2019م⁶². ويشير تقرير حالة اللغة العربية (2020) المشار إليه آنفًا إلى أن اللغة العربية من بين اللغات الأسرع نموًا وانتشارًا في الشبكة الرقمية

⁵⁸ المزهر، مرجع سابق: 1 / 221.

⁵⁹ يُنظر موقع جريدة البيان (الإماراتية)، عند الرابط: <https://www.albayan.ae/economy/local-market/2014-11-26-1.2253303>. (تاريخ الاطلاع: 28 / 7 / 2020م).

⁶⁰ تاريخ <https://etoninstitute.com/blog/6-useful-languages-learn-2019> يُنظر الرابط: (تاريخ الاطلاع: 28 / 7 / 2020م).

⁶¹ يُنظر موقع «سكاي نيوز عربية»، عند الرابط:

<https://www.skynewsarabia.com/varieties/989988> - (تاريخ العالم) انتشار اللغات - العالم (تاريخ الاطلاع: فاتح سبتمبر 2019م).

⁶² الموقع السابق.

بين 2010 و2011، وشهدت في السنوات الأخيرة تزايدًا ملحوظًا في وسائل التواصل الاجتماعي، وفقًا لتقرير صادر 2017م⁶³.

وهذه المؤشرات وغيرها إذا ستمرت في الارتفاع فإنها تبعث على الأمل؛ لكن لا بد أن يبذل العرب جهدًا كبيرًا في المجالات العلمية والتقنية والاقتصادية من أجل تمكين العربية والارتقاء بها إلى الموقع العالمي اللائق بها بين لغات العالم المتقدمة كالإنجليزية. ولا بد أن نشير إلى واقع النشر باللغة العربية (الورقي والرقمي) الذي يواجه تحديات عديدة، لكنها مع ذلك يمكن التغلب عليها. تقول الشيخة بدور بنت سلطان بن محمد القاسمي رئيسة هيئة الشارقة للاستثمار والتطوير، والمؤسسة والرئيسة التنفيذية لمجموعة «كلمات» للنشر: «عندما أتأمل في مستقبل اللغة العربية فإنني أشعر بتقائل كبير. وعندما أنتقل بين معارض الكتاب في الدول العربية وأتفاعل مع جميع مكونات صناعة النشر العربي بكل تفاصيلها، فإنني أؤكد أن مستقبل اللغة العربية في أمان، وأن عشق هذه اللغة الجميلة ما زال يسري بقوة في شريان الجسد العربي»⁶⁴.

وأضافت الباحثة الشيخة بدور القاسمي: أن اللغة العربية مرت «بفترة عصيبة منذ بداية الألفية الثالثة فقدّ البعض خلالها ثقته بقدرة لغتنا على التأقلم مع المتغيرات السريعة في العالم وعلى رأسها العولمة الناتجة عن ثورة تكنولوجيا المعلومات. ولعلّ تأخر الناشر العربي، بصفة عامة، في التأقلم مع المتغيرات الرقمية السريعة دفع البعض إلى هذا الاستنتاج»⁶⁵. وخلصت الباحثة إلى إن التحديات العديدة التي تواجه العربية تحمل في الوقت ذاته العديد من فرص التقدم، وعلى الجميع أن يساهم في تطوير قطاع النشر في عالمنا العربي بما يساهم في تطوير لغتنا، مشيرة إلى أهمية التعاون على أعلى المستويات بين الهيئات الحكومية المعنية بالثقافة والتعليم ومؤسسات القطاع وضرورة استغلال كافة الإمكانيات التقنية والعلمية والبشرية بأفضل وجه للحفاظ على مكانة لغتنا وموروثنا الحضاري بين الأمم، باعتبار العربية «وعاء تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا».

والخلاصة أن من يتتبع حصاد السنوات السابقة فيتمكين اللغة العربية في المجال التكنولوجي وتطوير محتواها الرقمي يستنتج أن اللغة العربية قد حققت قفزات كبيرة في مجالات تكنولوجية كثيرة؛ وظهرت تطبيقات ووسائل لاتخلو من إصدارات تدعم العربية، ف«استطاعت العربية شق طريق لها إلى معظم تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الرغم من المعوقات التي كانت تعترض طريقها»⁶⁶.

تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الثقافة والشباب، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص 186.63

تقرير حالة اللغة العربية، المرجع السابق، ص 171.64

التقرير السابق، ص 171.65

التقرير السابق، ص 198.66

تلك هي السيناريوهات أو التصورات الثلاثة لمستقبل اللغة العربية، وإذا كُنَّا نستبعد السيناريو الأول، للأسباب التي بيَّناها قبل، فإنَّ أَرْجَحِيَّةَ تحقُّقِ السيناريو الثاني أو الثالث يعتمد على ما ذا سيصنعه العرب لأجل مستقبلهم وتمكين لغتهم، ولعل من المفيد أن نتطرق بإيجاز إلى الجهود التي تبذلها دولة الإمارات لتطوير اللغة العربية وتمكينها.

رابعاً: جهود دولة الإمارات في تطوير العربية وتمكينها

سعت دولة الإمارات ولا تزال تسعى لتطوير اللغة العربية وتمكينها وفق رؤية قيادتها الرشيدة التي ترى أن النهوض بالعربية وتمكينها في جميع المجالات العلمية والتكنولوجية والثقافية والاقتصادية هو مفتاح التقدم والإبداع؛ لذلك أطلق صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله ورعاه - رؤيته لأن تكون دولة الإمارات مقرَّ امتياز اللغة العربية وتمكينها. فأنشئ مجلس استشاري للغة العربية يضم أعضاء من جميع إمارات الدولة للنهوض بهذه المسؤولية الكبرى.

ولتحقيق وتجسيد هذه الرؤية، وجَّه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، بإعداد تقرير شامل ومتكامل لرصد وفهم وتحليل كافة العوامل الإيجابية والسلبية المتعلقة باللغة العربية من أجل النهوض بها وتمكينها.

يشرف المجلس الاستشاري للغة العربية، ويشرفني أنني عضو فيه، على إعداد التقرير مع فريق عمل من العلماء والخبراء المتميزين. وكنا نجتمع دورياً برئاسة معالي نورة بنت محمد الكعبي وزيرة الثقافة والشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة. وصدر التقرير في 18 ديسمبر 2020 بعنوان (تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها)، لـ«يشكل نقطة أساس لكلِّ العاملين في اللغة العربية، من حكومات، ومؤسسات تعليمية، وقطاعات تقنية وتجارية»⁶⁷. والتقرير كما تقول معالي نورة الكعبي «جزءٌ من التزام الإمارات بهويَّتها الثقافية وبدورها كمساهم فاعل في الهوية الثقافية لمنطقتنا»⁶⁸ بتطوير لغتها وتمكينها. لذلك خصَّص التقرير محوراً خاصاً لدراسة المناهج المدرسية في تعليم اللغة العربية ورصد النظم والمقاربات البيداغوجية الحديثة التي وُضعت في بلدان عربيَّة خلال السنوات الأخيرة في مراحل التعليم ما قبل الجامعي: الابتدائية، والإعدادية، والثانوية من أجل تطوير مناهج التعليم وفق أرقى الممارسات والنظريات الحديثة في تعليم اللغات وتعلُّمها⁶⁹.

تقرير حال اللغة العربية، مرجع سابق، ص 5.67

المرجع السابق، ص 5.68

نفسه، ص 339.69

انطلق البحث من عد أسئلة أهمها: ما الأهداف التي انطلقت منها خطة تطوير مناهج تعليم اللغة العربية في الدول العربية؟ وما المعايير التي استندت إليها؟ وما المقاربات البيداغوجية الجديدة التي وُظفت في المناهج الحديثة؟ وهل استطاعت التجربة العربية الوصول إلى مرحلة تأصيل مناهجها الحديثة وفق المقاربات البيداغوجية الجديدة أم أنها لا تزال في مرحلة التجريب؟ وهل الجهود العربية كافية حتى الآن لتعزيز واقع تعليم اللغة العربية وتعلمها وفق الاتجاهات الحديثة؟ وإلى أي مدى استطاعت السياسات اللغوية العربية ووزارات التربية والتعليم في العالم العربي تعزيز الدور الاستراتيجي الذي يلعبها لمعلم في عملية التعلم، وتمكينه من الأدوات والمهارات التي تثير الشغف التعليمي لديه، وتنقله من دور المؤدي إلى دور الفاعل الخلاق؟ وما الحاجات والاستراتيجيات لتحفيز مسار ممنهج وعملي لتوفير ذلك؟

وصل التقرير إلى أن مسار تطوير المناهج التعليمية للغة العربية في الدول التي تناولتها الدراسة أتم بالغمى والتنوع من الناحية النظرية واستند إلى كثير من الدراسات والبحوث القائمة على مشارب واتجاهات متنوعة، ورغم ذلك فإنها «لم تستطع أن تؤسس لمفاهيم معرفية موحدة لدى المشتغلين في القطاعين التعليمي والتربوي لصوغ نظرية تربوية عربية متوائمة مع متطلبات القرن الحادي والعشرين»⁷⁰.

خلص التقرير إلى أن الخطوات المستقبلية لتطوير اللغة العربية وتمكينها ينبغي أن تؤسس لعمل عربي مشترك عسى أن تكون الإمارات العربية المتحدة حاضنة له، من أجل «تخليص اللغة العربية وتعليمها من التجاذبات التي نشهدها دائماً، والناجئة عن الرؤية القاصرة للغة العربية وتعليمها، وجمودها في اعتبارها لغةً للأدب والشعر والبلاغة فقط، والخروج بها نحو إطار أوسع يركّز على طبيعتها ويهدف منه بالدرجة الأولى إلى التواصل الوظيفي، وإلى تمكين متعلمي العربية من كفايات استخدامها في السياقات المختلفة بما يضمن اكتسابها بطلاقة»⁷¹.

أوصى التقرير بإنشاء مركز أبحاث لتعليم اللغة العربية وتعلمها على أن يكون مقره في الإمارات العربية المتحدة؛ نظراً لمبادراتها الرائدة واهتمامها الكبير بتطوير اللغة العربية، وأن يؤسس هذا المركز على غرار المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج العربي، على أن يكون شاملاً لجميع الدول العربية، وأن يكرس جهوده لخدمة اللغة العربية، وأن يركز اهتمامه على ما يلي⁷²:

- بناء شراكات تعاون بين وزارات التربية والتعليم والمؤسسات التعليمية والتربوية التي تُعنى بتعليم اللغات، وتبادلاً لخبرات والنتائج في هذا المجال؛
- التركيز على إجراء البحوث المتصلة بالنواحي البيداغوجية في تعليم العربية وتعلمها؛

نفسه، ص 356.70

نفسه، ص 356.71

نفسه، ص 358.72

- توفير البحوث والدراسات المحكّمة التي تستهدف فئة القارئ العربي العادي من المعلمين والمشتغلين في القطاعين التعليمي والتربوي؛
- تطبيق مشروع «رخصة المعلم» الصادرة عن وزارات التربية والتعليم في جميع البلدان العربية، والعمل المشترك على توحيد برامجها التدريبية ومعاييرها وشروطها وقياسها عربياً، وجعلها شرطاً أساسياً لقبول من يرغب بامتحان التعليم؛
- إقامة ورشات عمل ودورات تدريبية لتدريب مدرّسي تعليم اللغة العربية؛
- إطلاق مشاريع تحقّق بيئة انغماس تدريبي للمعلمين تكون على مستوى العالم العربي؛
- إعداد ممتحنين رسميين لقياس الكفاءات اللغوية الشفوية ووضع الحقائق التدريبية اللازمة لذلك؛
- تهيئة مدرّسين معتمدين للمهارات اللغوية والتربوية، وجعل التدريب سياسة تعليمية مستدامة في المدارس الحكومية والخاصة؛
- دراسة المناهج التعليمية وتقييمها وتقديم الرؤى المقترحة لتصميم مناهج تعليمية بالاعتماد على الكفاءة؛
- إطلاق مشروع معايير تعليم اللغة العربية للناطقين بها على مستوى العالم العربي؛
- التركيز على بناء المناهج التعليمية على أساس الوظائف اللغوية والمهارات الأربع؛
- جعل كل مقارنة من المقاربات البيداغوجية الجديدة بؤرة بحثية وتدريبية للمعلمين؛
- تشجيع التعلّم الذكي الذي يهدف إلى توظيف التكنولوجيا المتطورة في إحداث تغيير إيجابي في منهجيات التعليم التقليدي؛
- التوسّع في توظيف التعلّم القائم على المشاريع، الذي يُسهم في اكتساب المتعلّمين المعارف، ومهارات التفكير العليا، وتنمية قدراتهم الإبداعية المتوافقة مع متطلبات القرن الحادي والعشرين؛
- التركيز على مهارات التفكير التحليلي والنقدي وتشجيعها؛
- العمل على وضع نظام التقييم والامتحانات والاختبارات القياسية للغة العربية بما يتوافق مع الرؤية الجديدة لتطوير المناهج، في التركيز على المعرفة والمهارة اللغوية التي يحتاج إليها المتعلم في كلّ مرحلة من المراحل بعيداً عن المحتوى والكتاب المقرّر.

خامساً: جهود المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج العربي

في ختام هذه الورقة أرى من المفيد أن أتطرق بإيجاز إلى تجربة المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشاركة في مجال النهوض باللغة العربية وتعليمها؛ لأن هذا المركز يضطلع بدور إقليمي ريادي في إعداد الدراسات والبحوث العلمية البيداغوجية في دول الخليج العربي؛ ولأن «تقرير حال اللغة العربية» (2020) المشار إليه آنفاً، جعله نموذجاً يُؤسّس على غرار مركز قومي لأبحاث تعليم اللغة العربية. لقد أنجز المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج دراستين عامي 2017 و2019 م في تطوير معايير اختيار معلمي اللغة العربية وإعدادهم وتدريبهم؛ وفق أرقى المعايير

والمناهج العلمية. والهدف من الدراسات وضع منظومة شاملة ومتكاملة لمعايير اختيار معلمي اللغة العربية وإعدادهم وتدريبهم، اعتماداً على جملة من المعايير والمؤشرات العلمية وفق آخر المستجدات التربوية والتوجهات الحديثة؛ وذلك بالتعرف على أسس عمليات اختيار المعلمين وإعدادهم وتدريبهم، وكذلك التعرف على أهم الممارسات العالمية والتجارب العربية والإقليمية في مجال معايير (اختيار وإعداد وتدريب) معلمي اللغات.

أكدت توصيات الدراسات أهمية تطبيق شروط ومواصفات محددة في اختيار معلمي اللغة العربية، وضرورة الاهتمام ببرامج إعداد المعلم والعمل على تطويرها، مع الالتزام بتطبيق معايير الجودة الشاملة والمعايير العالمية في تطوير عمليات وبرامج الإعداد داخل الكليات ومؤسسات الإعداد، بالإضافة إلى تطوير أهداف كليات التربية ومؤسسات إعداد المعلمين وسياساتها وبرامجها وممارساتها، والاهتمام بتوفير الكوادر والموارد البشرية المؤهلة من الأكاديميين وأعضاء هيئة التدريس بالكليات. وبشأن برامج إعداد المعلم وتأهيله، فقد تناولت التوصيات عملية إعداد المعلم في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين والمتغيرات العالمية المعاصرة وأثرها في تكوين المعلم وإعداده، وتناولت كذلك إعداد المعلم في ضوء مفاهيم ومبادئ الجودة الشاملة ومعايير الاعتماد الأكاديمي (NCATE)، ومدى توفر تلك المفاهيم والمعايير في مؤسسات الإعداد وبرامجها المختلفة، وشملت التوصيات أيضاً الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم وتميمته مهنيًا.

وفي مجال تدريب المعلم، ركزت توصيات الدراسات على تحديد الاحتياجات التدريبية لمعلم اللغة العربية، وقياس أثر وفاعلية برنامج تدريبي في تنمية الأداء الوظيفي للمعلم، حيث إن برامج إعداد المعلمين وتدريبهم لمتبلغ درجة الفاعلية والكفاءة في تنمية الأداء الوظيفي للمعلمين، وفي إكسابهم المهارات الكفيلة بمواجهة تحديات التربية المعاصرة في مجتمع المعرفة بالقرن الحادي والعشرين.

وفي الختام، فإن أملنا كبير في هذه الندوة الكريمة التي ستأتي بأفكار ورؤى علمية واستشرافية تساعدنا في رسم سياسة فعالة للنهوض بلغتنا حتى تتبوأ مكانتها العالمية اللائقة بها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

أولاً: الكتب:

1. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، دمشق، 1421هـ / 2000م.
2. أرنولد، توماس (إشراف)، تراث الإسلام، عربيه وعلق عليه جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط 2، 1972.
3. أنتيلا، ياكو هاسين، بحرنا المشترك: الشرق مهد الغرب، ترجمة مايا باكلا، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث / دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 1431هـ / 2010م.
4. بارالت، د. لوثي لوبيث، أثر الإسلام في الأدب الإسباني، ترجمة الدكتور حامد يوسف أبو أحمد؛ والدكتور علي عبد الرؤوف البمبي، مركز الحضارة العربية، ط 1، القاهرة، 2000م.
5. جاد الكريم، الدكتور عبد الله، الاختصار سمة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م.
6. جاه، شريف عبد الرحمن، لغز الماء في الأندلس، ترجمة زينب بنياية، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة «كلمة»، أبوظبي، 2015م.
7. جرونيباوم، غوستاف حضارة الإسلام، نقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

8. جستس، ديفيد، محاسن العربية في المرأة الغربية، ترجمة حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1425هـ.
9. الجوهرى، الصحاح (6 أجزاء)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 2، بيروت، 1399هـ / 1979م.
10. الحسني، سليم (محرّر)، ألف اختراع واختراع: التراث الإسلامي في عالمنا، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة بالاشتراك مع ناشيونال جيوغرافيك العربية (الطبعة العربية 2011م)، المملكة المتحدة.
11. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (40 جزءاً)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة سارتون، جورج، تاريخ العلم والإنسية الجديدة، ترجمة وتقديم إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة / نيويورك، 1961م.
13. سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط 1، 1431هـ / 2010م.
14. السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1406هـ / 1986م.
15. الشمري، الدكتور مهدي صالح سلطان، في المصطلح ولغة العلم، كلية الآداب بجامعة بغداد، بغداد، 2012م.
16. العكش، منير، أمريكا والإبادات الثقافية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2009.
17. الغوث، مختار، لغة قريش، دار المعراج الدولية للنشر، ط 1، الرياض، 1418هـ / 1997م.
18. الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1406هـ / 1986م.
19. فُك، يوهان، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، 1980م.
20. قاشا، الأب سهيل، الحكمة وإنسان العراق القديم، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بط 1، بيروت، 2011م.
21. القوصي، محمد عبد الشافي، عبقرية اللغة العربية، الإيسيسكو، الرباط، 1437هـ / 2016م.
22. الكُلاعي، الاكتفا بما تَضَمَّنَه مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ / 2000م.
23. لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار العالم العربي، ط 2، القاهرة، 2011.
24. مجموعة من المؤلفين، تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، وزارة الثقافة والشباب، دولة الإمارات العربية المتحدة، الصادر 18 ديسمبر 2020.
25. مجموعة من المؤلفين، اللغة العربية والتعليم: رؤية مستقبلية للتطوير، إعداد ونشر مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط 1، 2008م.
26. مجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، بيروت، 2013م.

27. محمد علي، محمد، اللغة العربية في التاريخ الإنساني، المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، الشارقة، 2021.
28. مقبل، د. فهمي توفيق، دور العرب والمسلمين في اكتشاف العالم الجديد، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان (الأردن) (د. ت.).
29. المنجد، صلاح الدين (جمع وإعداد)، المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، ط 1، بيروت، 1978م.
30. نينار، د. سيد محمد منور، تأثير اللغة العربية في لغات الهند، ترجمة قاضي عبد الرشيد الندوي، ط 1، 2011م.
31. هونكه، زغريد، أثر العقيدة والمعرفة الإسلامية في الحضارة الغربية، ترجمة عمر لطفي العالم، دار قتيبة، ط 1، دمشق، 1434 / 2013.

ثانيًا: المجلات والدوريات:

32. مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422هـ / 2001م، الرباط.
33. اللسان العربي، المجلد: 13، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط (1396هـ / 1976م)، المجلد: 13.
34. مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422 / 2001، الرباط.
35. مجلة «الإعلام والعصر» الصادرة عن مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام (أبوظبي) / عدد 26 - يوليو 2013م.
36. مجلة التاريخ العربي / العدد العشرون، خريف 1422هـ / 2001م، الرباط.
37. مجلة «الإعلام والعصر» الصادرة عن مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام (أبوظبي) / عدد 27 - أغسطس 2013م.

المراجع بالإنجليزية:

أولاً: الكتب

38. Mosheim, John Laurence, An Ecclesiastical History, Ancient and Modern, translated from the original Latin, illustrated with Notes, Chronological Tables, and an Appendix, by Archibald Maclaine, A new edition in two volumes, Baltimore: Plaskitt&Cugle, 1840, Vol. I.

- PHILIPSON, Robert, Linguistic Imperialism, London, Oxford University Press, 1992. .39
Landau, Rom, Islam and The Arabs, New York, The Macmillan Company, 1959. .40
Butwin, Frances, The Jews in America, Minneapolis Lerner Publications Co., U. S. .41
A., 1969 (5th printing 1974).

ثانياً: مواقع الشبكة:

- <https://www.dohadictionary.org/root> .42
https://www.researchgate.net/profile/Fellah-Noura/publication/340237742_nwr_22/links/5e7e917a299bf1a91b827a26/nwr-22.pdf .43
<https://www.sauress.com/alhayat/30961688> .44
<https://voiceofarabic.net/ar/articles/1748> .45
http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_6-4.pdf .46
<https://elaph.com/Web/Culture/2013/1/786569.html> .47
<https://makkahnewspaper.com/article/392185/> .48
<https://www.arabdevelopmentportal.com/indicator/demography> .49
<https://www.alhurra.com/choice-alhurra/2019/04/02/> .50
<https://www.albayan.ae/economy/local-market/2014-11-26-1.2253303> .51
<https://etoninstitute.com/blog/6-useful-languages-learn-2019> .52
<https://www.skynewsarabia.com/varieties/989988-> .53